العرب
الجمعة 2020/07/10
السنة 43 العدد 11757

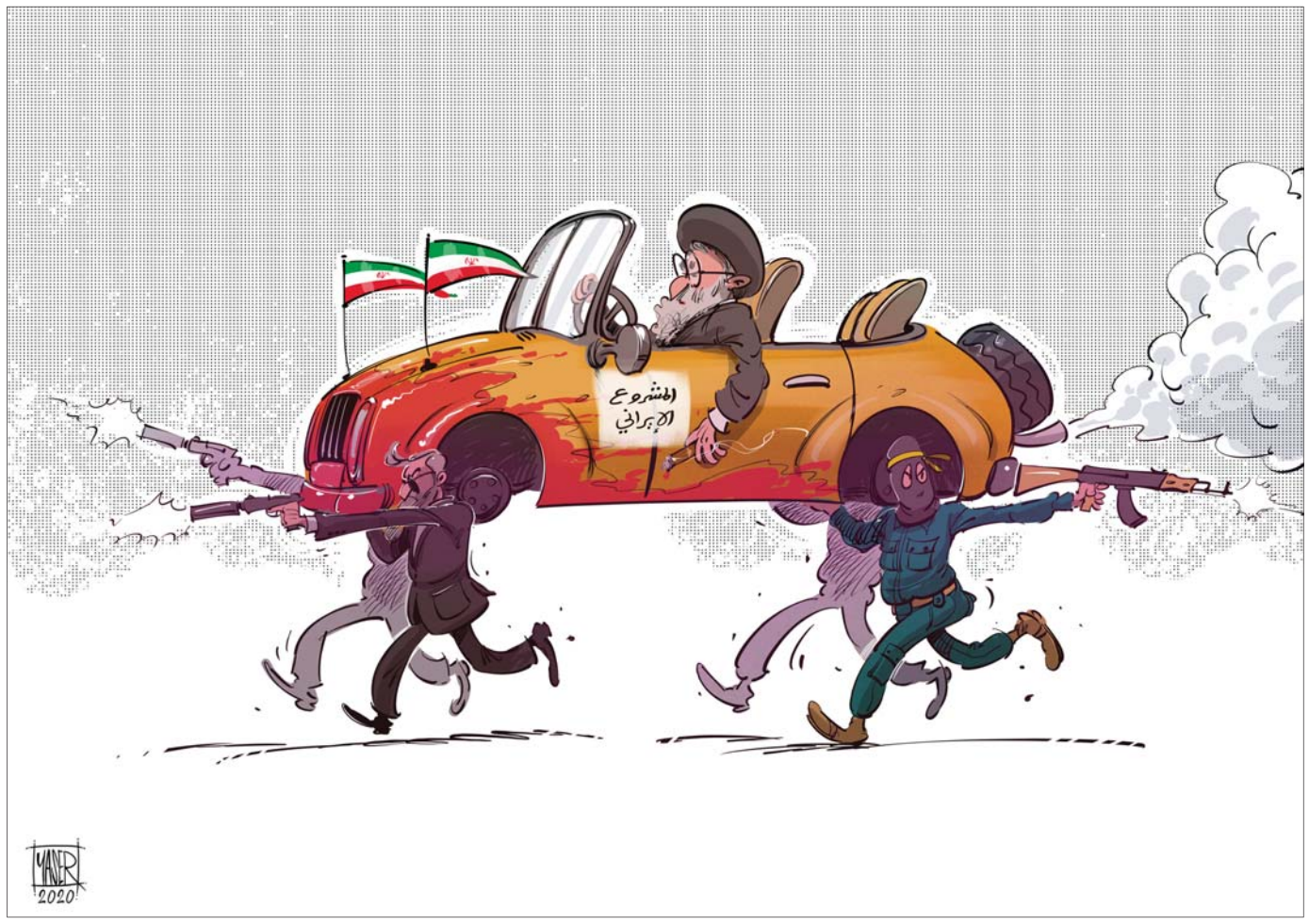

معاقبة إيرانية لمصطفى الكاظمي

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس اغتيال هشام الهاشمي المحلّل السياسي العراقي الخبير بالتنظيمات الإسلامية المتطرّفة السنّية والشيعية، أيّ من "داعش"... إلى الفصائل التي يتألّف منها "الحشد الشعبي" وما شابه ذلك، حدثا عاديا بأي مقياس. يعطي الاغتيال فكرة عن حجم التوتر الإيراني في العراق من جهة، ومدى الانزعاج من مصطفى الكاظمي رئيس الوزراء العراقي من جهة أخرى.

هناك قبل كلّ شيء رسالة واضحة موجّهة إلى مصطفى الكاظمي الذي تجرّأ حيث لا يتجرّأ الآخرون. تجرّأ الكاظمي على تحدّي إيران في العراق. كان الرجل بمثابة مفاجأة لإيران التي كانت تعتقد أنّ لديها قناة اتصال مؤثرة أو أكثر معه وأنّ ليس واردا أن تستفيق الوطنية العراقية لديه، فيرفض أن يكون العراق مجرّد "ساحة" لمواجهة أميركية – إيرانية.

يعتبر رفض الكاظمي تحوّل العراق إلى "ساحة" خطيئة لا يمكن لإيران أن تغفرها له. هناك طموح إيران لاستخدام العراق إلى أبعد حدود في عملية خوض معاركها خارج الأراضي الإيرانية وبغير الإيرانيين. هذا ما تفعله في العراق، وهذا ما تفعله في سوريا، وهذا ما تفعله في لبنان، وهذا ما تفعله في اليمن. هذا أيضا ما كانت تفعله في البحرين حيث وجد من يضع نهاية لسلوكها.

ما لا يزال ينقص "الجمهورية الإسلامية" في إيران المعرفة العميقة بالعراق. ينقصها قبل أيّ شيء الاعتراف بأنّها فشلت في تغيير طبيعة المجتمع العراقي كلّيا، بما في ذلك الشيعة العرب الذين ولاؤهم للعراق دائما. لم تتفوّق العصبية المذهبية على كلّ ما عداها في العراق بعد.

ما زالت هناك عصبية للعراق، وهي عصبية ظهرت بوضوح في تشرين الأوّل – أكتوبر الماضي عندما انتفض الشعب العراقي، خصوصا في المناطق ذات الأكثرية الشيعية، بما في ذلك النجف، في وجه حكومة عادل عبدالمهدي. كان ملفتا أن المواجهة بين العراقيين وحكومة عبدالمهدي كانت في معظمها مع الشيعة العراقيين الذين نزلوا إلى الشوارع في بغداد والبصرة والناصرية والنجف وكربلاء وأماكن أخرى لتأكيد أن العراق هو العراق وإيران هي إيران. من يتذكّر أن العراقيين أحرقوا القنصلية الإيرانية في النجف ثلاث مرّات؟ الأكيد أنّ إيران تفضّل ألّا تتذكّر ذلك.

لم يكتف الكاظمي بإعادة الضابط المحترف عبدالوهاب الساعدي إلى موقع رئيس جهاز مكافحة الإرهاب الذي كان أبعد عنه في عهد حكومة عادل عبدالمهدي. ذهب إلى أبعد من ذلك. وضع على الرفّ فالح الفيّاض مستشار الأمن القومي الذي كان، في مرحلة معيّنة، أحد مرشّحي إيران لتولي موقع رئيس الوزراء خلفا لعادل عبدالمهدي.

ليست عملية اغتيال هشام الهاشمي، الذي يعتبر من الحلقة الضيّقة المحيطة برئيس الوزراء، وليدة البارحة. الجريمة تتويج لسلسلة من الإشارات التي كان الهدف منها التأكيد للكاظمي بأنّ عليه الامتناع عن التدخل في شؤون لا تعنيه، خصوصا أنّه على رأس حكومة "انتقالية". من بين هذه الشؤون توقيف قوات الأمن العراقية عناصر من "كتائب حزب الله" في جنوب بغداد كانت تعد لإطلاق صواريخ في اتجاه أهداف أميركية في العاصمة العراقية ومحيطها. ما لبث رئيس الوزراء العراقي أن وجد نفسه مجبرا على إطلاق المعتقلين في وقت نزل فيه متظاهرون من "الحشد الشعبي" إلى الشارع وداسوا على صوره. كان قيس الخزعلي، أحد قادة الميليشيات المذهبية العراقية المنضوية في "الحشد الشعبي" واضحا مع الكاظمي عندما عقد مؤتمرا صحافيا أكد فيه لرئيس الوزراء أن مهماته محصورة في تدبير الشؤون المعيشية للعراقيين بعيدا عن المسائل الكبيرة من نوع التصدي للأميركيين في العراق. مثل هذا الأمر شأن خاص بالميليشيات المذهبية العراقية التي تحرّكها طهران. بكلام أوضح مطلوب من رئيس الوزراء العراقي الإقرار بأنّ بلده مجرّد "ساحة" تلعب فيها إيران. المطلوب منه التخلي عن أي دور على الصعيد الوطني وعدم الاعتراض على ما تقوم به إيران عبر أدواتها العراقية. على العكس من ذلك، مطلوب منه توفير الحماية للميليشيات العراقية التابعة لإيران.

عوقب مصطفى الكاظمي على تصرّفاته. عوقب على تدخله في شؤون إيران في العراق. عوقب بسبب محاولته استرداد الدولة العراقية ومؤسساتها وحصر السلاح في يد الجيش العراقي. عوقب بسبب رهانه على العراقيين وليس على الميليشيات المذهبية العراقية. دفع هشام الهاشمي الثمن. لم يدفع الثمن لأنه كان قريبا من الكاظمي فحسب، بل لأنّه كان على صلة بعبدالوهاب الساعدي أيضا ولأنّه كان يعرف الكثير من التفاصيل عن كلّ ما له علاقة بالأدوات الإيرانية في العراق وغير العراق. الأهمّ من ذلك كلّه، أنّه كان يعرف "الحشد الشعبي" من الداخل ويعرف عمق التجاذبات بين الفصائل التي يتألّف منها والتي بدأت تطفو مع اغتيال قاسم سليماني وأبومهدي المهندس. كان قاسم سليماني المفوّض السامي الإيراني في العراق وكان أبومهدي المهندس ضمانة، لا بديل منها، للدور الإيراني في العراق.

> ليست عملية اغتيال الهاشمي الذي يعتبر من الحلقة الضيّقة المحيطة برئيس الوزراء وليدة البارحة، الجريمة تتويج لسلسلة من الإشارات كان الهدف منها التأكيد للكاظمي بأنّ عليه الامتناع عن التدخل في شؤون لا تعنيه

هناك جانب آخر للجريمة المرتكبة في بغداد. يتعلّق هذا الجانب بأهمّية بقاء العراق رهينة إيرانية. تظهر الجريمة إلى أي حدّ يبدو النظام الإيراني مستعدا للذهاب بعيدا من أجل البقاء في العراق الذي يشكل بالنسبة إليه شريان الحياة لمشروعه التوسّعي وللنظام نفسه. فمن العراق انطلق المشروع التوسّعي مجددا في العام 2003 بعدما سلمت إدارة جورج بوش الابن البلد إلى "الجمهورية الإسلامية". ما تبيّن مع مرور الوقت أن إيران التي اندفعت في مختلف الاتجاهات انطلاقا من بغداد، لم تدرك في أيّ وقت أنّه سيأتي يوم تجد نفسها فيه في مواجهة عقوبات أميركية فعّالة وصحوة عراقية حقيقية في الوقت ذاته. هذا ما يفسّر تلك الاستماتة من أجل تفادي خروج العراق من تحت المظلّة الإيرانية.

هذا ما يفسّر أيضا الهجمة التي يتعرّض لها مصطفى الكاظمي الذي تخوض حكومته مفاوضات، في غاية الدقّة، مع الأميركيين تتعلّق بمستقبل وجودهم العسكري في داخل العراق.

ثمّة مرحلة دقيقة يمرّ فيها العراق. تفرض هذه المرحلة على رئيس الوزراء التساؤل عن مدى جدّية الدعم الأميركي وإلى أي حدّ يمكن لإدارة ترامب استيعاب أهمّية العراق بالنسبة إلى إيران حيث بات نظام الملالي يعرف تماما أن مستقبله مرتبط، إلى حدّ كبير، بالعراق وسيطرته على بغداد...

اغتيال الهاشمي حلقة أخرى من دموية الإسلام السياسي

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

اغتيال الخبير العراقي في قضايا الإرهاب هشام الهاشمي جاء في موعده، علينا أن ننظر إلى حملة الشيطنة التي تعرض لها مؤخرا على مواقع التواصل الاجتماعي؛ إحدى الصفحات وتحمل اسم جمهورية الحشد الشعبي، قامت بالتلاعب بصورته الشخصية بواسطة الفوتوشوب لتظهره في شكل إرهابي بلحية كثة، وزعمت أنه كان قياديا في تنظيم القاعدة قبل أن يتحول إلى متخصص في تحليل الظاهرة الإرهابية، وأنه انتقل من الإرهاب إلى العمالة للأميركان، اللافت أن تلك الصفحة اختفت وما فيها من مواد تحريضية بعد ساعات قليلة من جريمة الاغتيال.

ليس هناك شك في أن الميليشيات المسلحة المرتبطة بإيران هي التي تولت القيام بمهمة تصفية الهاشمي، فالرجل كان يمثل مصدر إزعاج لها، الأصوات الحرة معرضة دائما لدفع الثمن باهظا في ديمقراطيات الشرق الأوسط الجديد التي يراد لها أن تحكم من قبل قوى للإسلام السياسي، تجعل من التكفير والتخوين أداة لتصفية خصومها.

كثيرة هي الأصوات العراقية الحرة التي تعرضت للتصفية بكاتم الصوت خلال الأشهر الماضية، كذلك علينا أن نتذكر أعداد من تعرضوا للاغتيال من أبناء الدولة الوطنية من عسكريين وأمنيين وسياسيين ومثقفين وحقوقيين بعد الغزو في 2003، كل ذلك من أجل إخضاع الدولة والمجتمع لحكم الساسة الطارئين ممن لا يعترفون بالوطن والوطنية، وإنما ترتبط انتماءاتهم العقائدية بنظام الملالي في إيران، ومصالحهم الاقتصادية بشبكات الفساد داخليا وإقليميا وبالجهات الغربية التي لا يتوانون عن التهجم عليها ليل نهار.

لم يختلف مصير هشام الهاشمي عن مصير شكري بلعيد ومحمد البراهمي في تونس، وعبدالسلام المسماري ومفتاح بوزيد في ليبيا، علينا أن نعترف بأن جماعات الإسلام السياسي بشقيها الشيعي والسني، تنهل من تراث مغرق في الدماء، خصوصا وأن هناك تلك المفردة السحرية القادرة على إباحة القتل وهي التكفير، مقابل مفردة التوبة في رحاب الإسلاميين، وهي توبة لا تعني علاقة المخلوق بخالقه، وإنما علاقته بمن يزعمون أنهم الأوصياء على الدين، والمكلفون بمهمة التفتيش في ضمائر الناس للكشف عن مدى إيمانهم.

تحتل صناعة الرعب مكانة مهمة في فقه الحركات الإسلامية، لذلك تستعيد صفحات التاريخ لتنهل منها ما تعتبره تشريعا للقتل واستباحة الأنفس والأعراض، داعش لم يأت من فراغ وإنما من إرث تستند إليه أحكامه في الترويج المنهج، جرائم العثمانيين تكفي للتأكيد على ذلك، وإسماعيل الصفوي يمكن أن يكون مثالا للسلوك الدموي من حيث تورطه في قتل مئات الآلاف من البشر بهدف دفع غير الشيعة إلى التشيع بالقوة.

كلما اجتمعت السياسة بالدين في الصراع على السلطة، كان القتل مباحا ومتاحا، وكانت أعراض وأملاك البشر غنائم للمكبّرين باسم الله البريء من تصرفاتهم، اليوم لا يختلف الوضع عما كان عليه سابقا، وكل من يمثل خطرا على المشروع الديني يصبح هدفا للتصفية، خصوصا إذا كان مثل هشام الهاشمي ينطلق في خطابه من روح وطنية رافضة للمشاريع العابرة للحدود.

> كان اغتيال الهاشمي رسالة مضمونة الوصول إلى رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي مفادها أن إيران وأتباعها ومنفذي أجنداتها لن يسمحوا لأي نفس وطني عربي عراقي بأن ينتعش

هناك تبرير عادة ما يعتمده الإسلاميون في محاولتهم تبرئة أنفسهم من الجريمة، وهو اسأل من المستفيد؟ هذا التبرير يطلقه عادة من يقفون في واجهة القرار السياسي أو من يدعمونهم من وراء ستار التحليل والتغطية الإعلامية، لكن كل المؤشرات تؤكد أن التنظيمات السرية للحركات الإسلامية تتصرف بشكل آلي لتنفيذ المطلوب منها أو ما تراه صالحا لمشروعها دون التفكير كثيرا في نتائجه، هناك معطى مهم في نشاط جماعات الإسلام السياسي وهو الاعتماد على عنصر الزمن، العدو الذي تتخلص منه اليوم ستكون قد تخلصت من أذاه غدا، وسيكون الناس قد نسوا ذلك تماما، والأهم من ذلك أنك وجهت رسالة لمن قد يسير على نهجه.

علينا كذلك ألا ننسى أن الرسالة لا يراد لها أن تصل فقط إلى الأعداء، وإنما إلى الأنصار كذلك، وفحواها أننا قادرون على التخلص ممن يعادي مشروعنا ويعمل ضدنا، وفي ذلك دفع معنوي للأنصار المتشبعين بتراث الدم، والذين قد يكونون أحيانا أكثر اندفاعا للقتل من القادة السياسيين للجماعات.

عرف عن هشام الهاشمي أنه كان خبيرا في الجماعات الإرهابية كالقاعدة وداعش، لكن أمثاله ممن يحللون مفاصل الإرهاب في شقه السني، يعرفون مفاصله في الشق الشيعي، ولا يمكن أن يكونوا إلا مدافعين عن الدولة الوطنية المدنية التي تواجه حربا ضروسا في المنطقة العربية منذ غزو العراق في 2003، مرورا بما عرفته تونس ومصر وسوريا وليبيا واليمن، حيث وكلما اجتمع الداخل والخارج باسم مقاومة الدكتاتورية، برز بديل إسلامي لا يستثني الإرهاب من أدوات صراعه على الحكم.

كان الهاشمي يرى أن الإرهاب واحد سواء كان من القاعدة وداعش أو من الميليشيات الشيعية، التي لم تختلف يوما عن نظيرتها السنية في التكفير والتدمير والتفجير وتخريب الأوطان، وكان يمتلك الآليات الكفيلة بالتحليل والدراسة، ويعرف كيف يخاطب روح الوطنية العراقية في العراقيين، لذلك صدر الحكم باغتياله، وهو حكم يأتي ضمن سياق التصفيات الممنهجة لكل عراقي حر يدافع عن سيادة وطنه وكرامة شعبه، ويرفض الخضوع للاحتلال الفارسي تحت الغطاء الطائفي.

كان اغتيال الهاشمي رسالة مضمونة الوصول إلى رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي، مفادها أن إيران وأتباعها ومنفذي أجنداتها لن يسمحوا لأي نفس وطني عربي عراقي بأن ينتعش، وكان كذلك مؤشرا على أن الإسلام السياسي لا يقاتل من أجل قضية وطنية، وإنما من أجل تنفيذ الأجندات الخارجية التي يترك وفقها، كأن يكون متطرفا شيعيا متخفيا بعباءة إيران، أو متطرفا سنيا متخفيا بعباءة تركيا.